تصريح مشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأشوريّة الشرقيّة حول شخص المسيح*

إنّ قداسة يوحنّا بولس الثاني، أسقف رومة وبابا الكنيسة الكاثوليكيّة، وقداسة مار دِنْخا الرابع، جاثليق بطريرك الكنيسة الأشوريّة الشرقيّة، يرفعان الشكر للّه الذي ألهم هذا اللقاء الأخويّ الجديد.

وهما يعتبران هذا اللقاء مرحلة أساسيّة في طريق إعادة الشركة التامّة بين كنيستيهما. فإنّهما يستطيعان بعد اليوم أن يُعلنا معًا أمام العالم إيمانهما المشترك في سرّ التجسّد.

بما أنّنا وريثا الإيمان الذي تسلّمناه من الرسل وحارساه، كما عبَّر عنه آباؤنا في قانون الإيمان النيقاويّ، فإنّنا نعترف بربٍّ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب منذ الأزل، الذي، عندما تمّت الأزمنة، نزل من السماء وصار إنسانًا من أجل خلاصنا. إنّ كلمة الله، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، تجسّد بقوّة الروح القدس، باتّخاذه من مريم العذراء القدّيسة جسدًا تُنعشه نفس ناطقة اتّحد بها اتّحادًا لا يقبل الانفصال منذ أن حُبل به.

فربّنا يسوع المسيح هو إذًا إله حقّ وإنسان حقّ، كامل في لاهوته وكامل في ناسوته، مساو الآب في الجوهر في كلّ شيء، ما عدا الخطيئة. ولاهوته وناسوته متّحدان في شخص واحد، بلا اختلاط ولا تغيير، وبلا انقسام ولا انفصال. فيه حُفظ تمييز طبيعتي اللاهوت والناسوت، بجميع

(*) تكملةً لرسالة القسّ خدر الموصلي إلى البطريرك الأشوريّ مار إيليّا الثاني عشر الواردة في المقال السابق، يسرّنا أن ننشر هنا التصريح البالغ الأهمّيّة الذي صدر عن رئيسَي الكنيستين الكاثوليكيّة والأشوريّة منذ أيّام قليلة، وبه يُزال سوء تفاهم دام نحو ستّة عشر قرنًا، ويُمهَّد الطريق إلى مزيد من الوحدة بين الكنائس.

خصائصهما وقواهما وأعمالهما. واللاهوت والناسوت لا يكوّنان «آخَر وآخَر»، بل هما متّحدان في شخص ابن الله الواحد والوحيد وربّنا يسوع المسيح، موضع عبادة واحدة.

فليس المسيح إذًا «إنسانًا عاديًا» تبنّاه الله ليقيم فيه ويُلهمه، كما هو شأن الأبرار والأنبياء. بل إنّ كلمة الله نفسه، المولود من الآب قبل جميع الدهور، الذي لا بداية له بحسب لاهوته، وُلد في الأزمنة الأخيرة من أمّ ومن دون أب بحسب ناسوته. والناسوت الذي ولدته مريم العذراء الطوباويّة كان دائمًا ناسوت ابن الله نفسه. ولهذا السبب تصلّي الكنيسة الأشوريّة الشرقيّة مريم العذراء بصفتها «أمّ المسيح إلهنا ومخلّصنا». وفي ضوء هذا الإيمان نفسه، يتوجّه التقليد الكاثوليكيّ إلى مريم العذراء «كأمّ الله» و«كأمّ المسيح» أيضًا. ونحن جميعًا نعترف بمشروعيّة عبارات الإيمان الواحد هذه ودقّتها، ونحترم ما تفضّله كلّ كنيسة في حياتها الطقسيّة وتقواها.

ذاك هو الإيمان الواحد الذي نعترف به في سرّ المسيح. إنّ مناظرات الماضي أدّت إلى تحريمات تناولت أشخاصًا وصيغًا. لكنّ روح الربّ يهب لنا اليوم أن نفهم، على وجه أفضل، أنّ الانقسامات التي نشأت كانت تقوم خاصّةً على سوء تفاهم.

ومع ذلك، وأيًّا كانت اختلافاتنا حول شخص المسيح، نستطيع اليوم أن نتلاقى متّحدين في الاعتراف بإيمان واحد بابن الله الذي صار إنسانًا لكي يستطيع الناس أن يصيروا أبناء الله بنعمته. ونريد بعد اليوم أن نشهد معًا على ذلك الإيمان بالذي هو الطريق والحقّ والحياة، مُعلنين إيّاه بالطريقة التي تناسب بني عصرنا، لكي يؤمن العالم ببشارة الخلاص.

إنّ سرّ التجسّد الذي نجاهر به معًا ليس هو حقيقة مجرّدة ومنعزلة. فالكلام يدور على ابن الله الذي أُرسل ليخلّصنا. والتدبير الخلاصيّ ينبع من مشاركة الثالوث الأقدس - الآب والابن والروح القدس - ويتحقّق بالاشتراك في تلك المشاركة، بحسب النعمة، في الكنيسة الواحدة، المقدّسة، الجامعة، الرسوليّة، شعب الله وجسد المسيح وهيكل الروح.

ويصبح المؤمنون أعضاء هذا الجسد بسرّ المعموديّة الذي يجعلهم يولدون مرّة ثانية بالماء والروح القدس إلى خليقة جديدة. وهم يثبّتون بختم الروح القدس الذي يمنحهم سرّ المسحة. ومشاركتهم الله وفي ما بينهم تتحقّق على وجه تامّ بالاحتفال بتقدمة المسيح الواحدة في سرّ الإفخارستيّا. وهذه المشاركة تُعاد إلى أعضاء الكنيسة الخاطئين، حين يتصالحون مع الله وبعضهم مع بعض بسرّ الغفران. وإنّ سرّ رسامة الكهنوت الوظيفيّ في الخلافة الرسوليّة يضمن، في كلّ كنيسة محليّة، صحّة الإيمان والأسرار والمشاركة.

وإذا عاشت الكنائس الكاثوليكيّة الخاصّة والكنائس الأشوريّة الخاصّة من ذلك الإيمان وتلك الأسرار، نتج أنّها تستطيع أن تعترف بأنّها كنائس أخوات. ولكي تكون المشاركة تامّة وكاملة، تفترض الإجماع على مضمون الإيمان وعلى أسرار الكنيسة وتكوينها. وبما أنّنا لم نصل حتّى الآن إلى ذلك الإجماع الذي علينا أن نزداد تقدُّمًا إليه، لا نستطيع، ويا للأسف، أن نحتفل معًا بالإفخارستيّا التي هي علامة المشاركة الكنسيّة التي تمّت إعادتها على وجه كامل.

ومع ذلك، فإنّ المشاركة الروحيّة العميقة في الإيمان والثقة المتبادلة القائمة بين كنيستينا تسمحان لنا بأن نفكّر منذ الآن في كينيّة الشهادة معًا لرسالة البشارة وكينيّة التعاون في أوضاع رعويّة خاصّة، وبوجهٍ خاصّ في حقل التعليم المسيحيّ وتكوين كهنة الغد.

وإذ نشكر الله على أنّه جعلنا نعود فنكتشف ما يوحّدنا في الإيمان والأسرار، نتعهّد بأن نبذل جهدنا لتذليل العقبات الأخيرة التي ما زالت تحول دون الشركة التامّة بين كنيستينا، فنلبّي على وجه أفضل صلاة الربّ لوحدة خاصّة، لتلك الوحدة التي لا بدّ أن تظهر طبعًا بوجه منظور. ولكي نتغلّب على تلك العقبات، علينا أن نُنشئ لجنة مختلطة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأشوريّة الشرقيّة.

روما في ١١/١١/١٩٩٤

ك. مار دنخا الرابع　　يوحنّا بولس الثاني

صدر حديثًا عن دار المشرق